

مشكلة العدوان والعنف لدى الأطفال والشباب (بين الخير والشر والصواب والخطأ)

المقدمة

يقول الحق تبارك وتعالى في محكم تنزيله: ﴿ أَلَمْ آتِكُمْ مِنَ اللَّهِ مَا تَدْعُونَ عَلَيْهِمُ أَنْ يَضْرِبَهُمْ أَوْ قَاتِلْهُمْ سَبْعِينَ مِائَةَ أَلْفًا نِهَايَةُ الْعَذَابِ قَدْ نَبَأَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنَّكُمْ عَلَيْهِمْ تُكْفَرُونَ أَفْئِدَةً كَافَةً ۚ فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ۚ فَمَلَأُوا ثَنَابًا وَاسْمًا وَكَافُورًا ۖ فَوُضِعُوا فِي الْمِصْرَةِ ۖ فَاصْطَبَقُوا بِهَا ۖ وَكُفِّرُوا بِنِهَايَةِ الْعَذَابِ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۚ ﴾ [سورة الكهف: الآية ٤٦] يعتبر الطفل أروع أشكال الحياة على وجه هذه الأرض ففي داخله يمتلك هذا الصغير قدرات مذهلة. ولكن إلى أى حد نفهم خصائص هذا الصغير حق الفهم، ماذا نعرف عن سلوكه وردود أفعاله إزاء العالم المحيط به. إن تلقى التربية هو حق طبيعي للأبناء. فهم بحاجة إلى بناء شخصياتهم ليكونوا أفرادًا نافعين لأنفسهم ولمجتمعهم ومخلصين لدينهم. ومن السلوك الذي يرهق الوالدين مع أبنائهم هو السلوك العدواني. ويظهر من جميع الأطفال في وقت من الأوقات عمل عدواني وليس في هذا ما يقلق الأبوين ويملاً قلبيهما هما ولو أظهر طفلها عدوانية بالضرب أو الركل (فقد يحتاج الطفل إلى زجر وعقاب) غير أن بعض الأطفال المرفقين في نشاطهم واندفاعهم لا يستطيعون كبت مشاعرهم وربط حيوياتهم فهم يفقدون السيطرة ويتصرفون بعدوانية، هؤلاء لا يفيدهم العقاب

في شيء، بل الأفضل أن نفهم السبب الذي تولد منه الحادث وإن كانت الأم متيقظة فإنها تتدخل قبل فقدان الطفل لسيطرته. وفي الوقت نفسه يجب على الأبوين أن ينتبها لتصرفاتهما ولموافقهما.

إن العدوان ظاهرة عند الإنسان والحيوان، والإنسان مطالب دائما أن يسيطر على دوافعه العدوانية ويظل سيد نفسه وتصرفاته ويعد موضوع العدوان من أكثر الموضوعات مناقشة في علم النفس.

وينتجى العدوان عند الإنسان بأشكال وصور عديدة منها العنف والضرب والطعن والهجاء والسب والتشهير والاستهزاء والسخرية والإهمال.

وهكذا فإن العدوان ظاهرة قوية ويكسب خلفه طاقة لا يستهان بها. وطاقة الإنسان قابلة لأن توجه نحو الخير والبناء والتعمير أو توجه نحو الشر والهدم والتخريب.

ومثلما يولد الإنسان ولديه حاجة للنحب والإحسان؛ يولد ولديه حاجة أو دافع فطري لتبغض والعدوان.

فالعدوان إذن سلوك طبيعي، فيعتبر الغضب والثورة والاشتراك في المشاجرة من الأمور الطبيعية التي تصدر عادة من الأطفال الأصحاء الأقوياء. بل إننا نشك في صحة الطفل وفي سلامته إذا لم يغضب أبداً أو إذا لم يتشاجر مع زملائه على الإطلاق.

إلا أن قيام الطفل بالغضب والثورة والاعتداء على زملائه بدون
مبرر ظاهر سواء في البيت أو المدرسة أو في الشارع؛ وبصورة مستمرة؛
يدل هذا السلوك غير الطبيعي أيضًا على اضطراب نفسية الطفل،
ويدعو إلى ضرورة العناية به ودراسة حالته دراسة دقيقة لمعرفة أسباب
هذه المشكلة والعمل على تلافيها ليكون الطفل صحيحًا نفسيًا.

وإذا كنا نصادف طفلًا عدوانيًّا معتديًّا يرتكب الأخطاء كثيرًا،
يتلف الأشياء كثيرًا، يميل إلى الغضب، يملك الرغبة في إيذاء
الآخرين، ويجد المتعة في إيذائهم.

ويستخدم القوة في مقابل الضعف... فهذا الطفل هو الذي لديه
مشكلة ويحتاج إلى علاج.. وهو طفل عدواني.

والسلوك العدواني هو أي فعل يهدف إلى إيقاع الأذى أو الألم
بالآخرين أو إتلاف الممتلكات، فالعدوان ليس انفعالاً أو حاجة أو
دافعاً، إنه أولاً وقبل كل شيء سلوك يرى البعض أنه يهدف إلى إيذاء
الآخرين وممتلكاتهم، ويشترط هذا الرأي توافر النية لإيقاع الأذى.

وترتبط استجابات العنف والعدوان في المراحل المبكرة من عمر
الطفل بعوامل بيولوجية وأسرية وثقافية وبيئية عامة، وتحدث في
مواقف مختلفة كالبيت أو الأسرة والمدرسة والشارع، وأن ضبط هذه
الاستجابات قضية تربوية مهمة بالنسبة للأطفال حيث إن عليهم أن

يتعلموا كيفية التحكم في انفعالاتهم، وكيفية التعبير عنها والمناسبات التي تكون فيها غير مقبولة.

ونظرًا لظهور السلوك العدواني لدى الأطفال العاديين الذين لا يعانون من أية إعاقات أو اضطرابات فقد أبدى علماء النفس والتربية والاجتماع اهتمامًا ملحوظًا بتحليل السلوك العدواني، وبالرغم من أن البعض يرى في العدوان سلوكًا فطريًا غريزيًا، يراه البعض الآخر سلوكًا مكتسبًا يتعلمه الإنسان بفعل وتفاعل الظروف البيئية.

كما أن مشكلة العنف والعدوان هي مشكلة سلوكية تتزايد مع تقدم الحياة المدنية بسبب الضغوط المادية والاقتصادية التي تثقل كاهل الوالدين وكذلك انشغال كلا من الزوج والزوجة بأعمالهم الخاصة مما أدى إلى عدم إعطاء وقت كافٍ للتفكير بهدوء بال في راحة الأولاد ومطالبهم والمعاملة الطيبة فيما بينهم كما كان في الماضي. كما يجب ألا يفوتنا الآثار السلبية لوسائل الإعلام التي من أهمها توليد العنف وكذلك الألعاب الإلكترونية والثقافات الغريبة على المجتمعات العربية، كذلك القدوة فلا بد أن يكون كلا من الأب والأم والمعلمين والمربين قدوة حسنة في كيفية حل المشكلات بعيدًا عن العنف والعدوان كما أن المشكلات الأسرية ذات أثر سيء على الأطفال والشباب، ولقد خلق الله سبحانه وتعالى البشر في أحسن صورة وكرمهم عن باقي المخلوقات قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [سورة التين: آية ٤].

وعما لا شك فيه أن من أغنى النعم التي أنعم الله بها على الإنسان هي العقل، لذلك نجد تفاوتاً بين أفراد البشر في طباعهم وسلوكياتهم باختلاف مستويات عقولهم وتفكيرهم، فنجد ونلمس الكثير من السلوكيات في واقعنا المعاصر لا نتقبلها ولا نرضاها بحكم أننا نملك عقلاً واعياً يرفض سلوكيات العنف والعدوان التي نجد منها أنواعاً شتى في حياتنا مثل الإرهاب والقتل عند الشباب وما إلى ذلك من مظاهر العنف والإرهاب.

وتعتبر ظاهرة العنف من الظواهر القديمة في المجتمعات الإنسانية، فهي قديمة قدم الإنسان الذي ارتبط وما زال يرتبط بروابط اجتماعية مع الوسط الذي فيه يؤثر وبه يتأثر، إلا أن مظاهره وأشكاله تطورت وتنوعت بأنواع جديدة فأصبح منها: العنف السياسي، والعنف الديني، والعنف الأسري الذي تنوع وانقسم هو أيضاً إلى: العنف الأسري ضد المرأة - العنف الأسري ضد الأطفال - العنف الأسري ضد المسنين. كما أن ازدياد انتشاره أصبح أمراً مثيراً للدهشة سواء على مستوى العالم أم على مستوى الوطن العربي، وذلك لأن ظاهرة العنف تعتبر مشكلة اقتصادية لما ينجم عنه من خسائر مادية كبيرة، ويعد أيضاً مشكلة علمية لأنه إذا وجد هذا السلوك العنيف دل على عجز العلم والإنسان عن تقديم فهم واقعي سليم للسلوك الإنساني، كذلك يعتبر مشكلة مرضية؛ لأنه يعد عرضاً من أعراض المرض الاجتماعي، وهو مشكلة اجتماعية من حيث كونه مظهر السلوك منحرف لدى الأفراد.

من العرض السابق يتضح لنا أهمية هذا الإصدار (من سلسلة ثقافة سيكولوجية للجميع) في أنه يتناول مشكلة مهمة وخطيرة في حياة الفرد قد تدفعه إلى تدمير نفسه وكل من حوله.. وسوف نتعرف من خلال هذا الإصدار على معنى العدوان والعنف، وكذلك معرفة الأسباب التي تؤدي إليهما، والتفسير النفسى هما ووجهة النظر الدينية للعنف والعدوان وأيضا التعرف على أساليب الوقاية من مشكلة العدوان والعنف وطرق العلاج.. وذلك إلى جانب معرفة تأثير التلفزيون ووسائل الإعلام على زيادة العنف والعدوان لدى الصغار والشباب، وعرض مختصر للعدوان وبعض المفاهيم ذات الصلة به (الإرهاب، التطرف، الجريمة).

تعريف العدوان:

العدوان سلوك يقصد به المعتدى إيذاء الآخرين وقد عرف العدوان من قبل العديد من علماء النفس.

وقد تطلق صفة العدوان على أشكال محددة من السلوك (كالضرب والصدم مثلا) أو على أشكال معينة من الحوادث الانفعالية أو كليهما معا أو على الظواهر المرافقة للحوادث الاجتماعية (كالغضب والكراهة) أو على مضامين دافعية (كالغريزة والدافع) ولا يتضمن مفهوم العدوان سمات سلبية كالليل للنمشاجرة والسيطرة والصراخ والعنف فقط وإنما يتضمن سمات إيجابية كالثقة بالنفس والحرم والتوكيد وقوة الإرادة.

كما عرف العدوان على أنه السلوك الذي يؤدي إلى إحقاق الأذى الشخصي بالغير وقد يكون الأذى نفسياً (على شكل إهانة أو خفض قيمة) أو جسدياً كما أنه شكل من أشكال السلوك الذي يهدف إلى تحقيق رغبة في السيطرة.

والعدوان هو كل فعل يتسم بالعداء تجاه الموضوع أو الذات ويهدف إلى التدمير. فهو سلوك يقصد به المعتدى إيذاء الشخص الآخر.

كما أنه نوع من السلوك الاجتماعي يهدف إلى تحقيق رغبة صاحبه في السيطرة وإيذاء الغير أو الذات. تعويضاً عن الحرمان أو الاستخفاف بالشخص أو التقليل من شأنه وهو يعدّ استجابة طبيعية للإحباط. ويسمى العدوان عندما يوجه إلى الآخر "سيادية Sadism" وعندما يترد إلى صاحبه يسمى: "مازوجيه Masochism".

وكذلك يعرف العدوان على أنه أي فعل أو سلوك يهدف إلى الضرر أو الأذى وفي السلوك العدواني تهمل حقوق ورغبات الآخرين أو تختزل وبهذه الصورة فإن السلوك العدواني سلوك يدل على سوء التكيف، كما أن الأطفال ذوي السلوك العدواني الحاد لا يتصفون بالمرونة بل بالجمود والنمطية (أسلوب سلوكي جامد) وأن الأطفال الذين يظهرون كمية كبيرة من العدوان فشلوا في تنمية ضوابط داخلية ولم يتعلموا أنهاطاً من السلوك المتوافقي الملائم والمقبول.

كما أن كلمة عدوان تتخذ معان كثيرة، ومن أجل ذلك فإن تعريفها يعتبر أمراً صعباً، فلا يوجد حد فاصل في استعمال كلمة العدوان في مواقف مختلفة، فالعدوان عمل بطولي إذا تمثل بقتال لمصلحة الوطن وصد الأعداء، وهو مذموم ومستنكر إذا توجه نحو قتل الأبرياء، والعدوان على السلطة تخريب وإجرام في نظر المسؤولين المعتدى عليهم على رأس هذه السلطة، وهو عمل رائع وتحريري في نظر الشعب الذي يتوق إلى إزالة السلطة الحاكمة وإخلاص منها.

ومن هنا اختلف تعاريف العلماء لهذه النزعة العدوانية بحيث ينظر إليها كل منهم من وجهة نظره الفلسفية، ففي حين يراها "أدلر" بأنها التعبير عن إرادة القوة فإن "فرويد" يراها سلوكاً واعياً ناتجاً عن غريزة الموت، وقد افترض "فرويد" وجود هذه الغريزة وجعلها مسئولة عن الحرب والتدمير بالإضافة إلى السلوك العدواني.

أما "فيليب هاربان" فيشير إلى أن السلوك العدواني هو سلوك تعويضي عن الإحباط المستمر، وهو السلوك الذي يقصد به إيذاء شخص آخر أو جرحه بما يتناسب مع كثافة الإحباط، إذ كلما زاد إحباط الفرد كلما زاد عدوانه.

أما "هناجارد" فيرى أن العدوان نشاط هدام ويقود به الفرد لإلحاق الأذى بالآخرين سواء بطريق الاستهزاء والسخرية والهجاء أو بإحداث الأذى والألم الجسدي.

أما "أنطوني ستور" فيرى أن الإنسان هو أكثر الأجناس تدميرًا لبني جنسه وأكثرها حبًا واستمتاعًا بممارسة القوة مع بني جنسه، وما مظاهر العنف والوحشية التي نسمع ونقرأ عنها سوى الدليل الثابت على ذلك.

ويرى "شابلين Chaplin" أن العدوان هجوم أو فعل مضاد موجه نحو شخص أو شيء ما وينطوي على رغبة في التفوق على الآخرين، ويظهر إما في الإيذاء أو السخرية بغرض إنزال العقوبة بالآخر بينما يُعرف "سايكس Sykes" العدوان - بأنه الشروع في التشاجر والتحفز للمهاجمة أو العراك.

المقصود بالعنف:

العنف ظاهرة تستشري في المجتمعات، وهو داء لم يستثن بلدًا أو إقليمًا أو قارة، إذ ترد إلينا من خلال وسائل الإعلام، وفي كل يوم وساعة، حوادث العنف التي يقف لها شعر الرأس. وبعض أصابع الاتهام تشير إلى أن العنف يتم إرضاعه منذ الصغر. بل إن أصابع أخرى تشير تحديدًا إلى المدارس باعتبارها الثدي الذي يتغذى منه الصغار بالعنف والعدوانية. ويؤكد أصحاب هذه الأصابع أن مدارس العالم الغربي مثلها هو شأن مدارس العالم الشرقي، غتلى بمشيرات العنف، حتى إن حوادث دموية مميتة ومروعة حدثت في الولايات المتحدة وغيرها لا يمكن أن تناساها الذاكرة.